ايليا اهرنبورغ يكتب عن همنغواي

ما الذي يفعله ارنست حقيقة في اسبانيا؟

مصطفى سام المندلاوي

كان هذا في اذار ١٩٣٧ في مدريد. كنت نزيلاً فيما كان سابقاً يدعى فندق بالاس وتم تحويله الى مستشفى كان فيه صراخ المرضى ورائحة المعقمات تملأ المكان في البناية بلا تدفئة والطعام شحيح كما الحال في موسكو ١٩٢٠ وكنت دائم التفكير بشوق الى قطعة من الستيك قبل ان استسلم للنوم.

وفي مساء يوم ما قررت الذهاب الى فندق غايلورد حيث يمكث مستشارونا العسكريون ومعهم كولتزورف على امل الحصول على بعض الدفء ووجبة طعام شهية.

وفي غرفة كولتزورف تجمع بعض من اعرفهم وبعض الاغراب فقد كان الجو في الفندق يغري الكثيرين كما اغراني وفوجئت بوجود قطعة كبيرة من لحم الفخذ مع بعض زجاجات الشراب على المائدة، همس لي كولتزورف: (هيمنغواي هنا) واثارني الخبر لدرجة اني نسيت قطعة اللحم.

لكل انسان مؤلفه المفضل ولكن لكي توضح لماذا تفضل هذا الكاتب على ذاك فانك ستلاقي صعوبة بنفس القدر الذي ستلاقيه لكي توضح لماذا تحب امرأة معينة دون اخرى. ومن بين كل من عاصرتهم احببت هيمنغواي اكثر من الاخرين.

في سنة ١٩٣١ في اسبانيا اعطاني (تولر) كتاباً لمؤلف غير معروف لدينا حينئذ ((الشمس ستشرق ايضاً)) وقال لي (اعتقد انها عن اسبانيا ولربما ساعدتك على الفهم) واعقبتها بقراءة (وداعاً للسلاح) وساعدني همنغواي على الفهم- ليس فهم مصارعة الثيران بل الحياة.

وهذا بالضبط ما جعلني متوتراً فور مشاهدة هذا الرجل الطويل، المزاجي الذي كان يجلس الى المائدة وهو يحتسي الويسكي وبدأت بأبداء مشاعري الفياضة تجاهه بطريقة خرقاء لاشك في انها عمقت حيرة الرجل تجاهي. فتحت الزجاجة الثانية من الويسكي. كان واضحاً انه هو من جلب المشروب بدليل انه شرب اكثر من الجميع وسألته ماذا يفعل في مدريد فأجابني انه يعمل مراسلاً لوكالة صحفية. كان يتكلم معي بالأسبانية فيما كنت اكلمه بالفرنسية وسألته هل تبرق المقالات ام الاخبار ايضاً؟ فوجئت بهمنغواي يقفز من مكانه وهو يلوح باحدى الزجاجات وهو يصرخ "كنت اعرف من البداية انك تحاول ان تستفزني" ان كلمة الأخبار بالفرنسية (نوفيلس، تعني بالأسبانية روايات (نوفيلاس). تدخل احدهم وامسك بالزجاجة وتم شرح سوء التفاهم اللغوي وانتهى الامر بضحك متواصل.

واوضح هيمنغواي ما الذي جعله غاضباً (النقاد يتشكون من الاسلوب البرقي (التلغرافي) لرواياته واضفت من جانبي ضاحكاً (ويشكون من الجمل المخنوقة في رواياتي ايضاً) وبعد لحظة قال لي (من المؤسف انك لا تحب الويسكي، ان النبيذ هو للمتعة ولكن الويسكي وقود).

كان الكثير من الناس يتساءلون باستغراب عما يفعله هيمنغواي حقيقة في اسبانيا، بالطبع هو يحب البلد وبالطبع ايضاً هو يكره الفاشية وحتى قبل الحرب الأسبانية عندما هاجم الايطاليون الحبشة استنكر الحملة علناً لكن لماذا يمكث في مدريد؟ في البداية عمل مع جوريس آيفنز في احد الافلام وبين وقت وآخر كان يبعث بعض المقالات الى امريكا. كان يسكن في فندق فلوريدا غير بعيد عن مركز الهاتف الذي كان تحت القصف المستمر للمدفعية الفاشية. كان المكان يعاني من تدمير شديد بفعل قذيفة من النوع الشديد الانفجار ضربته بشكل مباشر. ولم يعد أحد يسكن فيه بأستثناء هيمنغواي، كان يصنع القهوة على مصباح كحولي ويتغذى بالبرتقال ويشرب الويسكي منغمساً بشكل كلي في كتابة مسرحية عن الحب. في مدريد كان دائم الجوع لكن هذا لم يقلقه رغم انه يملك منزلاً في ولاية فلوريدا نفسها في الولايات المتحدة حيث كان بامكانه ان يعمل كل ما يروق له من صيد السمك وتناول الستيك وكتابة مسرحيته كان هناك عدة محاولات لاستدعائه للولايات المتحدة ولكنه وضع برقيات الدعوة جانباً بشكل غاضب قائلاً انني سعيد جداً حيثما انا، كانت الروائي في داخله منجذباً للخطورة وللموت وللأعمال البطولية وكان يردد بشكل صريح ((يجب الحاق الهزيمة بالفاشست)) كان من الناس الذين يرفضون الهزيمة والاستسلام وهذا الرفض يبعث فيه التجدد والبهجة.

في فندق غايلورد قابل هيمنغواي رجالنا العسكريين واعجب بـ(حاجي) الرجل ذي الشجاعة الفائقة الذي كان غالباً ما يخترق خطوط العدو (مستفيداً من اصله القوقازي الذي كان يجعله شبيهاً بالاسبان). ان الكثير من ما اورده هيمنغواي في كتابه (لمن تدق الأجراس) عن اعمال حروب العصابات اعتمد فيه على ما سمعه من حاجي وافضل ما في الموضوع ان حاجي قد نجا رغم كل ذلك وقابلته بعد فترة واستمتعت برفقته.

كنت مع هيمنغواي اثناء معركة (غوادالاغار). كان يفهم في الامور العسكرية مما جعله يفهم الوضع القتالي بسرعة. انني اتذكره وهو يراقب الرجال يحملون غنائمهم من القنابل اليدوية التي تركها الايطاليون خلفهم وكانت كبيرة الحجم وحمراء وكأنها حبات فراولة ضخمة وكان يعلق بابتسامة ((لقد تركوا الكثر منها خلفهم كما الحال مع رجالهم)).

في الحرب العالمية الأولى حارب هيمنغواي متطوعاً في الجبهة الايطالية- النمساوية واصيب بجروح بالغة فيها ولأنه راى الحرب وويلاتها فقد اخذ يكرهها وكان سعيداً لان الجنود الايطاليين كانوا مستعدين للتخلي عن بنادقهم. ان فردريك هنري قال وداعاً للسلاح، انني سوف انسى الحرب لقد عقدت صلحاً منفرداً. ولكنه في غوادلاغار وفي جارما وفي المدينة الجامعية في مدريد فان همنغواي اختبر البنادق الرشاشة للكتائب الدولية، وفي احد لقاءاتنا صرح لي (انني لا افهم الكثير في السياسية بل انني اكرهها ولكني افهم ما تعنيه الفاشية، ان الناس هنا يحاربون لأجل قضية شريفة).

كان دائم التردد على مقر قيادة اللواء ١٢ الذي كان بقيادة الجنرال لوكاكس (وهو الكاتب الهنغاري ماتيه زالكا) ففي سنوات الحرب العالمية الاولى واجه الرجلان بعضهما البعض في خندقين مختلفين من خنادق جيشين متعادين، لكنهما تحولا الى اصدقاء قرب مدريد.

الحرب عمل قذر.. كان يردد ماتيه زالكا فاجابه هيمنغواي- كيف.. وبعد دقيقة اضاف- والآن رفيقي الجنرال وضح لي اين مدفعية الفاشيين وكانا بعد ذلك يجلسان لساعات طويلة مستغرقين بالتحديق في خرائط مملوءة بالاشارات القلمية.

كنت احتفظ ببعض اللقطات المصورة التقطت في بلايسو ايبارا حيث يظهر فيها هيمنغواي، ايفنز، ريكلير بالاضافة الي انا، كان هيمنغواي حينذاك لا يزال شاباً ونحيفاً مع ابتسامة شاحبة. في مناسبة ما قال لي (الأساليب تتغير، انا اعرف ذلك لكن المواضيع.. ما كان يكتب عنه الكتاب في العالم وما زالوا يكتبون عنه.. انك تستطيع ان تعد المواضيع على اصابع اليد الواحدة، الحب، الموت، العمل، النضال، كل الاشياء الاخرى تكمن في هذه المواضيع حتى الحرب بل وحتى البحر.

ذات مرة كنا جالسين في مقهى في مدينة بيوريتاديلو نتحدث عن الادب كان المقهى قد نجا بمعجزة من القصف. رغم انه يقع بين منزلين قد هدمهما القصف كانوا يقتصرون على تقديم العصير والماء المثلج وكان النهار بارداً فسحب هيمنغواي حاوية مشروب من جيب بنطلونه وصب بعض الويسكي واخذ يقول (اني اعتقد ان الكاتب لا يستطيع وصف كل شيء لذا فأمامه طريقان الطريق الاول ان تصف كل الايام، كل الافكار، كل العواطف، او ان تحاول تضمين العام في الخاص في اجتماع واحد وفي جملة حوار واحدة انا اكتب عن التفاصيل فقط ولكنهم يحاولون التحدث عن التفاصيل بالتفصيل.

عندها اخبرته ان اكثر ما اثر فيّ في كتبه هو الحوار الذي لا استطيع سبر غوره، فضحك وقال: ادعى ناقد امريكي بجدية انني استعمل الحوار المختصر لأنني اترجم الجمل من الاسبانية الى الانكليزية. ان حوار هيمنغواي لا يزال لغزاً بالنسبة الي، بالطبع عندما أقرأ رواية او قصة من النوع الذي اغرق في قراءتها فانني لا افكر كيف انها كتبت فانا ببساطة قارئ ولكن بعد ذلك فان الكاتب في داخلي يبدأ بالتركيز على اشياء تهم مهنتي فعندما افهم التكنيك فانني استطيع الحكم اذا كان الكتاب قد كتب بطريقة جيدة او جيدة جداً او بطريقة رديئة وربما اجد الكتاب بغض النظر عن مدى تأثيره علي ولكن الحوار في كتب هيمنغواي يتسحوذني ففي الفن فأن اعظم الاشياء لا تدرك ما هو سر قوته. لماذا كنت اردد في نفسي ولمدة نصف قرن ابيات الشاعر بلوك:

لقد ناديتك
ولكنك لم تلتفت
لقد ذرفت الدموع
لكنك لم تستجب

هنا لا توجد افكار جديدة لكي نبحث عنها بين السطور ولا توجد كلمات غير اعتيادية، تماماً مثل حوار هيمنغواي فهو بسيط وغامض.

ذات يوم اثناء تضييف (ليلي بريك) لبعض الضيوف قامت ودون ان يشعر احد بأدارة مسجلة صوت فاخذنا نسمع محادثاتنا وانتابنا شعور بعدم الارتياح. كنا نتكلم بجمل ادبية طويلة على عكس هيمنغواي الذي كان يتكلم بطريقة مختلفة باقتضاب وبشكل عرضي ومع ذلك فان كل كلمة كانت تظهر الحالة النفسية للمتكلم، وعندما نقرأ رواياته وقصصه فاننا نشعر بان هذه هي بالضبط الطريقة التي يتكلم بها الناس، وليست تلك التعابير المتكررة ولا تلك المختصرات بل هي الاساس للحوار الذي ابدعه الفنان. قد نستطيع ان نفهم الناقد الأمريكي الذي استنتج ان الاسبان يتكلمون بطريقة هيمنغواي، ولكن هيمنغواي لا يقوم بترجمة الحوار من لغة الى لغة اخرى بل هو يترجم من لغة الواقع الى لغة الفن. قد تقودك الصدفة لمعرفة ماهية هيمنغواي فتظنه مجرد بوهيمي رومانسي، او عاشق ساذج للفن فهو يشرب بكثرة ويقترف الكثير من الاعمال الجنونية، يجول العالم، يذهب لصيد السمك في المياه العميقة، لصيد الحيوانات في افريقيا ويجد اللمسات الفنية في مصارعة الثيران.

لا احد يعرف اين يكتب لكنه كان مجتهداً في ذلك. ان اطلال فندق فلوريدا لم تكن بالمكان المناسب لكاتب كي يعمل ولكنه كان يجلس هناك كل يوم وهو يكتب وقد قال لي مرة ان الكاتب يجب ان يكتب باستكلاب ولا يستسلم. واذا اسودت الصفحة من كثرة الشطب فعليه ان يعيد مرة وخمس مرات بل وحتى عشر مرات.

لقد تعلمت الكثير من هيمنغواي. اني اشعر بانه قبل زمنه. كان المؤلفون يصفون الناس وبحذاقة في بعض الاحيان بينما هيمنغواي لم يصف شخوصه كان يرينا اياهم وربما يكون هذا هو السر في تاثيره النافذ على الادباء في اقطار عديدة. رغم انهم لا يحبونه جميعاً ولكنهم جميعاً نالوا قسطاً من التأثر به.

كان يصغرني بثماني سنوات وقد اندهشت عندما اخبرني عن نمط الحياة التي عاشها في باريس في بداية العشرينيات تماماً كما عشت انا ثماني سنوات قبله في نفس المكان.

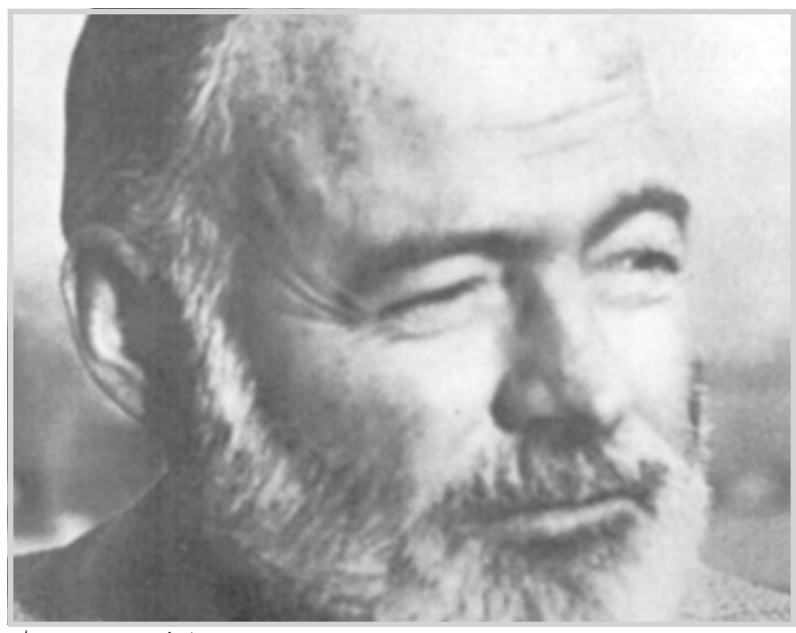
همنغواي

كان يطلب فنجاناً من القهوة في مقهى سليكت (المجاور لـ روتونده) ومثلي كان يامل في ان يصيب شيئاً ليسد رمقه. في سنة ١٩٢٢ كنت اعتقد ان الايام الذهبية لحي مونبارناس قد ولت، حيث بدأ مقهى سليكت يكتظ بالسائحين الامريكان الاثرياء ولكني اندهشت عندما حدثني عن معاناته وجوعه وكتابته للاشعار وعن تفكيره بكتابة روايته الاولى في تلك الحقبة.

عندما نستذكر الماضي كنا نكتشف اصدقاء مشتركين مثل الشاعر بليس سندرارس، الرسام باسكين وكلا هذين الرجلين كانا يشاركان هيمنغواي في بعض الصفات مثل الحياة العاصفة، والاستغراق في الحب، المخاطرات الجسدية والموت.

كان هيمنغواي رجلاً بقلب صلب. متعلقاً بقوة الحياة، يستطيع الحديث لساعات طويلة عن سمكة نادرة مرت بقربه في سواحل فلوريدا، وعن مصارعة الثيران، عن هوايته للخيل، وفي احدى المناسبات قطع حديثه عن صيد السمك ليقول: كل شيء كما هو انت تعرف ان الحياة لها معنى وان هناك شيئاً اسمه الكرامة الانسانية. قبل يومين قتل امريكي قرب المدينة الجامعية في مدريد، لقد قابلته مرتين. كان طالباً ولقد تحدثنا في مواضيع كثيرة، السماء تعرف عددها عن الشعر وحتى عن الصوصج كنت اريدك ان تقابله. لقد كانت كلمات مؤثرة (لا يوجد شيء اكثر قذارة من الحرب) في هذا المكان اكتشفت لماذا ولدت، انا اعرف انهم سينسحبون من مدريد وذلك واضح جداً كوضوح ان اثنين+اثنين=٤ وبعد برهة اضاف هيمنغواي: ان تعرف كيف ان انقلبت الامور كنت اريد ان اقول وداعاً للسلاح ولكن ذلك اصبح بلا فائدة الآن.

وفي ذلك الوقت كتب ان هناك خمسين سنة اخرى من الحروب ولديه على استغراقها لكل هذا الوقت ورغم انه لا يعرف متى سيكون ذلك ولكنه مقتنع انها ستحدث ورغم ان هذا الكلام ورد على لسان احد شخوصه الروائية الا ان المؤلف نفسه كان يردد ذلك مراراً.

اتذكر محاورة اخرى بيننا قال هيمنغواي حينها ان النقاد اما اغبياء او يتظاهرون بالغباء. لقد قرأت ان جميع شخصياتي في كتبي هم عصابيون ولكنهم اخذو في حسبانهم ان الحياة على هذه الارض قد اصبحت نوعاً من الحيونة انهم بكل بساطة يدعونها عصابية. عندما يكون انسان ما يكون غير سعيد، او ان الثور داخل الحلبة يكون متوتراً جداً رغم كونه طبيعياً داخل بيئته في الحقول. كل ذلك عصابية. ان الامور تبدو كذلك.

في نهاية ١٩٣٧ قفلت راجعاً الى برشلونة من التيرول. قرب البحر كانت اشجار البرتقال قد بدات تزهر بعكس التيرول التي تقع في المرتفعات حيث كنا نتجمد من البرد لذلك وصلت الى برشلونة وأنا ارتجف برداً منها ومن الاعياء لذلك اخلدت الى نوم عميق ولم استيقظ الا عندما شعرت ان احدهم يهزني بقوة، كان هيمنغواي ينتصب فوقي وهو يسأل (هل سيأخذون التيرول) لقد غادرتها مع كابا وعلى عتبة الباب كان المصور الفوتوغرافي روبرت كابا واقفاً (قتل بعد ذلك في- الهند الصينية): فقلت لا ادري لقد بدأت بداية جيدة ولكنهم قالوا بعد ذلك ان الفاشيست قد استعانوا بقوات الاحتياط. طار النوم من عيني وحملقت برعب في هيمنغواي الذي كان يرتدي ملابس صيفية ((هل انت مجنون.. انها باردة جداً في الخارج)) فأجابني ضاحكاً ((لدي تدفئة مركزية)) وبدا باخراج حاويات ويسكي من عدة جيوب في ملابسه. كان مرحاً وضاحكاً وقال انها ليست عملية سهلة بالطبع ولكنهم سيهزمونهم في النهاية. اعطيته اسماء القادة الاسبان واخبرته ان يحاول العثور على غريغوريفيتش قائلاً له ((انه سوف يساعدك)) ودعني بالطريقة الاسبانية بالتربيت على القفا.

كان هيمنغواي يحتفظ بصورة لي وانا مستلق في الفراش وهو واقف يحدق بي وقد نشرت في كتاب عن حياته نشر في امريكا.

عندما رجعت الى اسبانيا في حزيران عام ١٩٣٨ لم يكن هيمنغواي هناك كنت دائماً اراه في عيون ذاكرتي رشيقاً ولم استطع التعرف عليه بعد عشر سنوات عندما رأيت صورة فوتوغرافية لعجوز صلب ذي لحية بيضاء كبيرة.

عايشت مرة اخرى في نهاية تموز ١٩٤١ كانت صفارات الانذار تنطلق كل ليلة تقريباً في موسكو كنا نتكوم في الملجأ، كنت اريد ان احظى بنوم عميق لذا قررت مع بوريس لابين ان نقضي في بيرلنكو في منزل ريفي لفيشينسكي كنت قد استعرت من بعضهم مخطوطة الترجمة الروسية لرواية هيمنغواي ((لمن تدق الاجراس)) ولم نستطع النوم وكنا نتبادل الصفحات انا ولابين. بعد الانتهاء من قراءتها وفي اليوم التالي كان على لابين ان يغادر الى كييف التي لم يعد منها ابداً) كانت المدفعية المقاومة للطائرات تصم الأذان ولكننا استمرينا في القراءة، كانت الرواية عن اسبانيا وعندما انتهينا تبادلنا الابتسامة بصمت.

كانت الرواية مأساوية جداً ولكنها كانت ممتلئة بالأيمان عن الانسان، انها عن الحب النبيل واليأس عن بطولة فصيل من الكفاح المسلح داخل منطقة العدو من بين افرادها روبرت جوردان وهو متطوع امريكي، الصفحات الاخيرة من الرواية تأكيد على الحياة على الشجاعة، على التضحية، حيث يرقد روبرت جوردان مهشم الساق بعد ان جعل رفاقه يعبرون، انه وحيد ولديه بندقية الية يستطيع ان ينهي بها حياته ولكنه يطمح الى ان يقتل اكبر عدد ممكن من الفاشيين. لقد استعمل هيمنغواي المونولوج الداخلي في هذا الفصل واسطر هنا مقتطفاً قصيراً منه:

((كنا سائرين بشكل جيد الى ان ضربنا ذلك الشيء والحظ وحده انقذنا في ان ذلك لم يحدث عندما كنا تحت الجسر، ولكن علينا بعد هذا ان تكون امورنا اكثر تنظيماً، يجب ان نحصل على مرسلات اذاعة بالموجة القصيرة.. نعم هناك الكثير مما يجب ان نحصل عليه.. يجب ان احصل على ساق احتياطية ايضاً..

اسمع يجب ان افعل ذلك لأنني اذا مت فأن ذلك لن يكون ذا نفع ابداً واذا امسكوني فسيوجهون ألي الكثير من الاسئلة ويفعلون في الأفاعيل وهذا في غاية السوء.. انت لا تستحمل ذلك.. اكيد لن تستحمل ذلك.. ومن يستطيع ان يتحمل.. انا لا اعرف.. ولا اهمية لذلك الآن. المهم انك لا تستطيع وهذه حقيقة.. هل تستطيع.. كلا.. من الافضل ان تنهي الامر الآن.. اليس ذلك افضل. كلا.. كلا.. ليس افضل.. لأن هناك ما تستطيع ان تفعله الآن ما دمت تستطيع استذكار ما يجب فعله انتظر سوف يأتون وتبادرهم.. فكر في رفاقك فكر فيهم في انهم نجوا.. فكر فيهم الآن عبروا الغابة.. عبروا الجدول المائي.. عبروا المرج.. فكر فيهم يتسلقون المنحدر لقد نجحوا.. تفاءل بهم وان تحلم في هذه الليلة.. لا استطيع الانتشار اكثر من ذلك.. اذا انتظرت ربما اموت.. ولكنك اذا انتظرت وقاومت فربما تستطيع تأخير الاعداد او ان تنال في الاقل من ضابطهم وهذا سيغير بعض الامور.. ودمدم لنفسه ((حسناً)) وتمدد بهدوء محاولاً ان يتماسك واخذ يشعر بأنه ينسلخ من نفسه كما تنسلخ بعض الكتل الجليدية من المنحدرات المتجمدة وقال لنفسه يجب ان اتماسك الى ان يأتون. وكان تماسكه جيداً لانه شاهدهم توا وقد بدأت خيالهم تخرج من الغابة وقد بدأوا بعبور الطريق.

لقد اقتبس هيمنغواي عنوان روايته من كتاب ((الصلوات)) للشاعر جون دون من القرن السابع عشر:

-ما من انسان وحيد في ارض متوحدة بذاتها
- كل انسان جزء من كل.
-اذا ضاعت خرقة نسيج في البحر فلربما ترسو في اوربا.. او قطعة يابسة في البحر.
-ما يخصك يخص اصدقاءك.
-موت أي شخص يجعلني اتضاءل لانني جزء من الانسانية
لذلك
لا تسأل ابداً.. لمن تدق الاجراس
انها تدق للجموع..

هذه السطور تنتصب كمثال لكل ما كتبه هيمنغواي الزمن تغير.. وكذلك تغير هو لكن شعوره ان مصير الانسان الفرد مرتبط بمصير الاخرين الذي ندعوه بالفصحى (الانسانية) بقي دون تغيير ابداً. بعد وفاة هيمنغواي استوقفني مقال في صحيفة امريكية افاد كاتبها بان الحرب الاهلية الاسبانية لم تعن شيئاً لهيمنغواي اكثر من صدفة عارضة بين فترتي مصارعة الثيران وصيد الضواري في افريقيا.. وهذا الكلام مجاف للحقيقية بشكل مطلق لأنه لم يكن من قبيل الصدفة العارضة ان يمكث هيمنغواي في مدريد المحاصرة وليس من قبيل الصدفة العارضة ان ينضم الى المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية بدل التسكع حول المقرات وليس من قبيل الصدفة العارضة ترحيبه بانتصار فيدل كاستر ولقد دون التزامه.

في آب ١٩٤٢ عندما كانت الامور على اسوأ ما يكون كتبت ((انني احب التقي هيمنغواي عندما يحدث انتصار ساحق للاوربيين على الفاشية شبيه بانتصار ((غوادا لاغارا)) للأسبان على الفاشيست في الحرب الاهلية.. يجب ان ندافع عن الحياة وهذه مهمة جيلنا السيئ الحظ واذا لم يتح لي او لنا الحظ لنرى بأم اعيننا انتصار الحياة فسنظل نتذكر حتى الساعة الاخيرة ذلك الامريكي ذا الساق المهشمة في الطريق الكاستيلي مع بندقيته الالية الصغيرة وقلبه الجبار لقد عانت رواية ((لمن تدق الاجراس)) من تقليل قيمتها بينما كانت رواية الشيخ والبحر رواية عن الشباب وكرامة الانسان .لقد انتقدت رواية لمن تدق الاجراس من انماط مختلفة من الناس وبطرق متعددة، البعض لم يرض عن تبريرات هيمنغواي للحرب، البعض لم يعجبه وصف هيمنغواي لحلقات معينة من الحرب، البعض رفض ما كتبه هيمنغواي عن اندريه مارتي (يكفي لكاتب ان يكتب شيئاً بعد خمسين سنة او يوم واحد حقيقة معروفة للجميع حتى تقع عليه كما تقع اطنان من الطابوق ولكن المؤلفين الذين يكتبون عن قناعاتهم الشخصية ليسوا اكثر من طفيليين.

عندما كنت في الولايات المتحدة الامريكية في ربيع سنة ١٩٤٦ تسلمت رسالة طويلة من هيمنغواي يطلب فيها مني ان ازوره في كوبا مستذكراً اسبانيا بمشاعر قلبية عارمة لم يكن بمقدوري الذهاب الى كوبا وقبيل وفاته بوقت قصير ارسل لي تحياته وعبر ان امله في ان نلتقي عن قريب وشاركته في هذه الامنية.

وبعد ذلك ظهر خبر قصير في الصحف عن وفاته وفي مرات سابقة ظهرت اخبار مماثلة عن وفاته كما حدث عام ١٩٤٤ وبعد ذلك بعشر سنوات ايضاً عندما سقطت الطائرة التي يستقلها فوق اوغندة وبعد كل مرة كان يظهر تكذيب للنعي ولكن في هذه المرة لم يحدث ذلك ولا اعرف كيف حدث ذلك لم يخبرني هيمنغواي ان والده وهو طبيب قد انتحر وقد سمعت ذلك من بعض اصدقائنا وقد ورد على لسان بطله روبرت جوردان ((لا اريد ان اعمل ذلك مثلما فعل ابي بنفسه قد اضطر لذلك ولكنني افضل ان لا اقترف ذلك العمل.. انني ضد ذلك لا تفكر ابداً في ذلك)) هل فعل هيمنغواي عكس ما فعله بطله ام ان ذلك حماقة من الحماقات التي كان يجيد وصفها، في كلا الحالتين فأن الموت اقتحم حياته وانها لحقيقة بسيطة ان نقول انه مات بنفس الطريقة التي عاش بها.

وفيما استرجع شريط حياتي الماضية فأنني ارى ان اكثر الادباء الذين كنت محظوظاً بمعرفتهم رغم كثرة هؤلاء فان اثنين منهم قد ساعداني في ان احرر نفسي من العاطفية المفرطة ومن العقلنة الكاذبة والتصورات وعلموني ان اتنفس وان اتماسك وهذان الاثنان هما اسحق بابل وارنست هيمنغواي وفي عمري هذا يجب ان اعترف بذلك.

متابعات

اتحاد الادباء والكتاب

يُضيّف الروائية آمال كاشف الغطاء للحديث عن تجربتها الأدبية

محمد درويش علي

ضمن نشاطه الثقافي الاسبوعي ضيف الاتحاد العام للادباء والكتاب يوم الاربعاء ١٣-١٢ الروائية آمال كاشف الغطاء للحديث عن تجربة جديدة اقدمت عليها في الاونة الاخيرة وهي كتابة مسرحية بعنوان (قابيل يعود من جديد) وقدم للاصبوحة الشاعر ابراهيم الخياط متحدثا عن ابرز المحطات الثقافية والسياسية في حياة الكاتبة .ثم تحدث بعد ذلك الناقد كريم شغيدل عن الرسالة الاخلاقية وصناعة الميثولوجيا الفكرية في المسرحية اذ قال: ان رحلتي البحث لكل من قابيل وحواء هي الفرضية الاساسية للنص؛ اي هما بؤرتا التوليد الدلالي للافعال الدرامية المفترضة .

وحولها تنبثق بؤرمساعدة كقتل هابيل وحمل جثة لقاء قابيل بفلاسفة اليونان وغالبيتهم من ضحايا السلطة ولقاء حواء بمجموعة النساء وهن ايضا من الضحايا ثم لقاء قابيل بحواء .وهذا البناء في ظاهرة أقرب الى الشكل الملحمي ومع افتراض حدث ينمو دراميا تتقاطع خطوط الصراع مع الذات والاخر.

ولكن الحدث هنا ليس حدثا تقليديا ارسطيا يتسلسل حتى ينتهي بذروة انما هو قد بدا من الذروة (قتل هابيل) ويتدرج عبر ذروات ثانوية بطريقة تفكيك العقد وليس بناؤها وحلها .ولم يصنع النص فرضية مكانية، حيث تجري الاحداث في فضاء كوني مفتوح تبررة السمة التأريخية للشخصيات.وغياب العلامات المكانية يدل على الطابع الذهني للنص وهو تحصيل حاصل للطابع اللازمني حيث تجري عملية السرد داخل زمن أسطوري ليس له محددات فيزيائية او تاريخية .فقابيل وحواء يعودان عبر ازمنة مستقبلية تشكل راهن الواقع وماضيه، بل هما من الناحية المجازية ينبعثان بشخصيات مفترضة في ازمنة متفاوتة. فقابيل ليس قابيل المثيولوجيا أنما هو أرادة القوة/ السلطة عبر جميع الازمنة .كذلك هابيل وحواء والفلاسفة والنساء وجميع الضحايا .ويمكن القول ان الفرضية الزمانية للنص لم تحتم مكانا او فرضية مكانية وبهذا يكون النص قد خرج من طرازية البناء الكلاسيكي الارسطي ووحداته الثلاث (وحدة الحدث، وحدة الزمان، وحدة المكان) اذ انصب الاهتمام على بناء الشخصيات وتجسيد رحلتي البحث المتوازيتين وهو بحث ذهني يشتغل على الفكري والثقافي والايديولوجي كما بينا وقد تجلى ذلك عبر لغة تفسيرية ذات ثراء قاموسي وثقافي تستغرق في بعض المشاهد بسردية لا تتناسب مع حاجة الدراما للاختزال.

اما الناقد حارث حمزة الخفاجي فقد تحدث عن جدلية الرمز الاسطوري وخطاب الواقع في مسرحية (قابيل يعود من جديد) اذ قال :في عملية البناء الدرامي للنص اعتمدت الكاتبة البناء الكلاسيكي في التراجيديا الاغريقية انموذجا في أنشاء بنيتها الدرامية على نحو تراجيدي اذ يتسم الاسلوب الكلاسيكي بالبداية السعيدة والنهاية المأساوية حين يبدأ الصراع بين ابطال المسرحية مؤديا الى ارتكاب البطل الخطأ المأساوي (الهارماتيا) لينزل الى المراتب السفلى دافعا ثمن الخطأ وهو مانجده واضحا في الكثير من مواضع النص سواء عن طريق التناص غير المباشر في اسلوب البناء للشخصيات والحبكة ام عن طريق الاستعارة المباشرة للكاتبة من نصوص التراث الاغريقي وكما هو في مفردة (معبد دلفي) وهو المعبد الذي لجأ اليه (اوديب) اثناء بحثه عن قاتل (لايوس) في مسرحية اوديب ملكا لسوفكليس .

ومن المفارقات الدرامية ان الاحساس التراجيدي العالي عند الكاتبة اضفى على شخصياتها طابعا ماساويا فحين نقرأ شخصية حواء فكاننا نقرأشخصية تاريخية من شخصيات الملاحم والاساطير ونجدنا امام جوكاستا ومأساتها بين الزوج والابن اونجد امامنا انتيغونا وهي تقف متحدية العالم على الرغم من انها تحمل ثقل ذنب السلف المتمثل في ابيها واخيرا تتجمع النماذج لتصرح الكاتبة انها المراة العراقية وهي تلملم شتاتها وشتات ابنائها واقفة امام واقعها ماضيا وحاضرا ومستقبلا ولذا فقد تمثلت شخصية حواء في النص بصفتها احد اهم عناصر الصراع انطلاقا من فرضية ان المراة نصف الوجود وصراع قابيل وهابيل من اجل الوجود والبقاء .

آمال كاشف الغطاء

كتاب جديد

خالد حبيب الراوي .. الاعمال الادبية الكاملة

باسم عبد الحميد حمودي

اصدر الدكتور احمد خالد الراوي الاعمال الادبية الكاملة لوالده الراحل القاص المرموق والاستاذ الجامعي د. خالد الراوي حيث قام د. احمد بمهمتي التحرير والتقديم.

يجمع الكتاب اعمال الكاتب الراحل في القصة القصيرة والمسرحية والمراجعات النقدية والخواطر وقصص الاطفال واشعار ذلك المبدع الذي رحل مبكرا عن عاريفي فضله وطلبته.

ولد القاص عام ١٩٤٤ وتوفي محزونا لوفاة درة غالية عليه هي ابنته اضافة لمجمل الظروف التي كان يعيشها الوطن-وما زال –عام ١٩٩٩ وبذلك لم يستطع الدخول الى عالم الالفية الثالثة التي حلم بها حلمه بالعالم الفاضل الذي تمناه.

اصدر الراوي اربع مجاميع قصصية اثارت اهتمام الدارسين والنقاد وهي: الجسد والابواب١٩٦٩، والقناع ١٩٧٠، والقطار الليلي ١٩٧٤، والعيون١٩٧٧ وجمع له المحرر مجموعتين من قصصه التي نشر قسم كبير منها في الصحف والمجلات العربية والعراقية.

ان عالم خالد الراوي القصصي عالم متوتر دائماً يبحث عن الثيمات التي تعطي حالات متضادة لتضيء حالة اخرى ناشئة عن هذا التضاد وقد تكون اكثر كشفا لدخيلة انسان العصر وقسوته وحنانه معاً.

للتاريخ عند القاص مكان واضح في مجموعتيه الاوليتين لكننا نظلمه اذا توقفنا عند هذه المقولة.فهو يقول في قصة له نشرت في مجموعته الثانية (القناع) بعنوان (الطيور.. العشب الاخضر) ما نصه: ((الماضي هنا هو الحاضر والمستقبل.. شيء مخيف ان يكون حاضرنا ومستقبلنا ماضيا)) وهو بذلك لا يعيش اللحظة التاريخية ليقوم بالوقوف عندها بل للثورة عليها عبر اعادة تركيبها في حدود التجريب واستنطاق الماضي من اجل صنع حاضر يتمناه على الورق.

والقاص الراوي كان واحدا من ابرز القصاصين العراقيين الذين كتبوا القصة القصيرة جدا وقد ذكرت هذا في اكثر من دراسة وبحث اعتبارا من بحثي الذي شاركت به في ملتقى القصة العراقية الاول الذي عقد في السبعينيات في مصيف صلاح الدين ثم كشفت ببحث اخر وتال عن ريادة نوئيل رسام لهذا اللون من القصص قبل أي كاتب عربي اذ كتب اول قصة قصيرة جدا ونشرها عام ١٩٣٥ وقد نشرت نصوص قصص رسام في مجلة الاقلام ايام كنت اتولى تحريرها في الثمانينيات. وقد اخذ هذا الكشف غير كاتب دون ان يشير الى المصدر وكأنه هو الباحث متجاوزا اخلاقيات البحث وامام امثال هؤلاء المثل الساطع الذي ضربه استاذنا الطاهر رحمه الله والروائي الاستاذ احمد خلف حين اشارا الى ذلك في أي بحث تناول القصة القصيرة جدا.

يقينا ان خالد الراوي في كل اعماله الابداعية على صعيد القصة والمسرحية ومنمنماته الشعرية وخواطره كان روحا هائمة في عالم مليء بالمآسي وهو عالم عايشه وهو يعمل في نطاق العمل الفدائي الثقافي في بيروت وعمان وهو شاب بعد ثم في الحقول الاعلامية والجامعية.

ان الجهد التوثيقي المهم الذي بذله د.احمد خالد ينطوي على الكثير من النبل ولكنه يتمتع ايضا بدقة الباحث وموضوعيته الناجمة عن الخبرة وطول الاناة وهي امور تستحق التهنئة حقا.